ما السبب الذي قد يجعل الولايات المتحدة لا تهاجم إيران ؟

بقلم أندرو إكسام (دايلي ستار – بيروت): معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى:

بحلول ربيع 1951 ، كان الجيش الأمركي وحلفاء الولايات المتحدة في وضع صعب بخصوص شبه الجزيرة الكورية. فمع دفعها لجيش كوريا الشمالية وصولا إلى نهر "يالو" في العام 1950 ، عبرت الوحدات العسكرية الصينية الحدود وقامت بهجوم مضاد مكثف ووحشي، مما أدى إلى إرجاع الأمريكيين، تقريبا ، إلى الحدود التي كانت موجودة عندما بدأت الحرب الكورية قبل عامين من ذلك التاريخ.

ومن جانبه، إنتقد القائد الأمريكي، الجنرال دوغلاس ماك آرثر، بأسلوب جارح، فشل السياسيين في واشنطن في توسيع القتال ليمتد إلى الصينيين الموجودين في "مانشوريا"، بإستخدام الأسلحة النووية إذا دعت الضرورة. وقد يكون البعض قد توقع تطابق موقف المؤسسة العسكرية الأمريكية - جنودها وافراد المارينز العالقين في حرب رهيبة مهلكة مع الصينيين في كوريا - مع موقف ماك آرثر العدواني الحربي.

إلا أن رئيس هيئة الأركان المشتركة عمر برادلي، بدلا من ذلك، قاوم بقوة الحرب مع الصين قائلا للكونغرس : " إنّ هذه الإستراتيجية ستورطنا في حرب خاطئة ، في المكان الخطأ ، في الزمن الخطأ ومع العدو الخطأ". أما ماك آرثر، الذي كان قد أُعفي من إلتزاماته قبل شهر من ذلك، فقد عاد إلى الولايات المتحدة. وحد الرئيس الأمريكي هاري ترومان، بحكمة، من الحرب ضد كوريا.

أما اليوم، ومع مقتل الجنود وأفراد المارينز الأمريكيين في العراق بسبب المتفجرات الإيرانية الموجودة بين أيدي ميليشيات مدعومة إيرانيا ، هناك أصوات في واشنطن تدعو إلى مواجهة عسكرية مع إيران. وهذه الدعوة ليست في واشنطن فقط :ففي إسرائيل، لبنان وبعض الدول الخليجية ، يضغط بعض المسؤولين، بشكل مشابه، لكي تستخدم الولايات المتحدة القوة العسكرية ضد إيران، حيث أن عملا كهذا قد يخدم أهدافهم الخاصة. ولا يأخذ بالإعتبار أحد من هؤلاء، على كل حال، كيف يمكن للجيش الأمريكي، كمؤسسة ، أن يقاوم تحركات يمكن أن تقود إلى عمل كهذا. فعلى سبيل المثال، كان الأميرال وليان فالون، القائد الجديد للقيادة الوسطى الأمريكية، قد رفض الدعوات لإرسال مجموعة حاملة طائرات ثالثة إلى الخليج كرسالة إلى الإيرانيين. " لن تحصل حربا ضد إيران أمام ناظري"، قال فالون.

دعونا نضع جانبا الفضائل النسبية لضربة ما ضد الإيرانيين، لماذا يمكن للجيش الأمريكي أن يقاوم عملا كهذا ؟ أولا، خذوا بالإعتبار حقيقة أن الولايات المتحدة لديها في هذه اللحظة 162000 جندي في العراق، 30000 في الكويت، 4500 في البحرين و 3300 في قطر، هذا عدا مجموعتي حاملات الطائرات الحربية في الخليج أو الـ 8500 جندي على أرض أفغانستان.

ففي حال حدوث ضربة أمريكية أو إسرائيلية ضد مواقع إيران النووية، على سبيل المثال، فإنّ الجنود الأمريكيين الموجودين في العراق، الخليج وأفغانستان سوف يكونوا في خطر أكبر مما هم فيه الآن أصلا، حيث سيكونوا عرضة لهجوم إيراني مضاد أو حملة إرهابية برعاية إيرانية، وهو الأرجح.

ثانيا : يوجد هناك شعور هائل بالذنب بين أوساط كبار ضباط الآلوية الأمريكيين لما يعتبرونه فشلا بالتصدي للقيادة المدنية في إندفاعها للحرب ضد العراق في العام 2002 و 2003. حيث أنّ مقدارا كبيرا من الإنقسام الحالي الموجود بين جنرالات أمريكا وضباط الأولوية الأمريكيين الأدنى رتبة يمكن إختصاره بشعور الضباط بأنّ الجنرالات الأعلى رتبة منهم قد أذعنوا، وإلى حد كبير، إلى كل ما كان يقوله وزير الدفاع دونالك رامسفيلد في سباقه للحرب العراقية. فتهمة التخاذل هي ما يؤذي جنرالات أمريكا، خاصة وأنها تأتي من قادة وضباط برتبة ملازم أثبتوا أنفسهم في ساحة الحرب العراقية.

ثالثا : يشكك ضباط الجيش المحترفين الآن وأكثر من أي وقت مضى منذ بداية الحرب العراقية، بنماذج مراكز الدراسات ذات نظريات عن مدى سهولة إمكانية تحقيق إنتصارات عسكرية. فكما قال لي، مؤخرا، أحد ضباط الجيش الأمريكيين العاملين في الخدمة : "إذا سمعت محاميا واحدا آخر لا يملك خبرة عسكرية يشرح لي كيف يمكن لقوة جوية وحدها أن تقوم بهذا العمل، حقا، في هذا الوقت، فإنّي سأقتله".

لكن كيف يقاوم الجيش الأمريكي، أو كيف بإمكانه أن يقاوم، قرارا لصناع السياسة المدنيين؟ ففي النظام الدستوري الأمريكي، يقع الجيش النظامي تحت السيطرة المدنية وهو عرضة لقرارات يتخذها السياسيون المنتخبون والمعنيون من قبلهم.

لكن هذا الأمر لا يأخذ بالإعتبار أنّ وزارة الدفاع هي الوزارة الأكبر والأكثر تعقيدا في الحكومة الأمريكية. فبيروقراطيا، يُعتبر البنتاغون عثمانيا تقريبا بالنسبة لمستواه وتعقيده. فالنظام يعتمد على آلاف الضباط العسكريين من ذوي المستوى المتوسط والبيروقراطيين المدنيين، وإذا ما قرر قلة من البيروقراطيين المصممين إبطاء السير نحو الحرب، فبإمكانهم أن يفعلوا ذلك. إذ بإمكان الموظفين في البنتاغون الإصرار على وجوب تعبئة كل إستمارة من الإستمارات في ثلاث نسخ متطابقة بحيث تتم المصادقة على كل تفويض من قبل الكونغرس، ووضع حد لأولئك المحرضين

على الحرب بورقة عمل لا تستلزم سوى جهودا مصممة، فقط، لكشفها عن طريق التحقيق والبحث الدقيق.

أما الأمر الثاني الذي بإمكان هؤلاء الضباط العسكريون والبيروقراطيون القيام به، فهو تسريب المعلومات إلى الصحافة إذا ما بدأت الإدارة بإتخاذ خطوات سرية بإتجاه عمل عسكري ما. فقبل حرب العراق، نادرا ما كان الضباط يحتكون بالصحافيين. لكن بفضل العلاقات الشخصية التي تطورت بين الصحافيين والجيش في العراق وأفغانستان، فإنّ كل فرد الجيش الأمريكي أو المارينز من المستوى المتوسط لديه إسم أو رقما لهاتف صحفي واحد على الأقل.

وأخيرا، ليس من الصعب بأنّ التصور بأنّ يقوم ضباط الجيش العاملين بالخدمة بالاستقالة بدلا من التصديق على مغامرة عسكرية في الشرق الأوسط سيئة التخطيط. فالإستقالات البارزة إلى جانب التسريبات إلى الصحافة، لن تؤدي سوى إلى تغذية المعارضة المحلية القوية أصلا ضد الحرب مع إيران.

أما في النهاية، فلا تزال موافقة الجيش الأمريكي على المضي إلى الحرب ضد إيران ممكنة. إذ أيّد تشارلز دونلاب، المايجور جنرال في سلاح الجو الأمريكي. وهو إستراتيجي محترم. قصف إيران للفوز بالحرب في العراق. بالإضافة إلى أن ضباط سلاح الجو، عموما، متحمسون لإمكانية إستخدام سلاح الجو أكثر بكثير من ضباط الجيش والمارينز. إلا أنّ الأمر الهام هو أن على أولئك الراغبين بإقناع الولايات المتحدة بإتخاذ عمل عسكري ما ضد إيران أن يقنعوا الجيش أولا. لكن في ضوء تطورات الأمريكي في الخليج، وحوله، والصعوبات المستمرة في العراق، فإنّ تسويق هذا الأمر سيكون صعبا.